

اسم البرنامج: مراسلو الجزيرة

عنوان الحلقة: ثلاثة أماكن.. حرب الذاكرة على النسيان

مقدم الحلقة: عباس ناصر

تاريخ الحلقة: ٢٠١٤/١/٢٨

المحاور:

- كندوان.. قصة معاول طوحت الصخور

- سكان الكهوف.. نموذج فلسطيني للمعاناة

- الجغوب الليبية بين الحاضر والماضي

عباس ناصر: في هذه الحلقة من بلدة كندوان الإيرانية بيوت في الجبال بنيت قبل مئات السنين لتقاوم غزو المغول وتصمد في وجه الرياح، وفي فلسطين سياسة الاستيطان تدفع سكان الخليل إلى العيش في الكهوف، ومن ليبيا الجغوب.. معقل الحركة السنوسية في ليبيا بين الماضي والحاضر، أهلاً بكم مشاهدينا ومرحباً إلى حلقة جديدة من برنامج "مراسلو الجزيرة" ونستهلها من أقصى الشمال الغربي لإيران وتحديدًا من بلدة كندوان الفريدة من نوعها، فقبل أكثر من ألف عام فر أهالي كندوان من بطش المغول وسكنوا بيوتاً هي عبارة عن مغارات طبيعية، اليوم تستعد كندوان لدخول قائمة التراث الإنساني العالمي لليونسكو بينما يشتكي أهلها غزو السياح لها وتخريب طابعها القريب وصبغها بطابع عصري حديث، الزميل عبد القادر فايز زار تلك البلدة فلنتابع رحلته.

[تقرير مسجل]

كندوان.. قصة معاول طوحت الصخور

عبد القادر فايز: هذه بلدة كندوان؛ في أقصى شمال غربي إيران، للبلدة التي يعني اسمها الحفارين قصة تُروى، قبل أكثر من ألف عام هرب أجداد الكندوانيون الأوائل من غزو المغول وداخل هذه المخاريط الصخرية حفروا بأيديهم هذه البيوت، رحل المغول وبقي الكندوانيون ليسردوا سيرة الخوف وتطويع الجبال، رضا هو سليل الكندوانيين الأصليين، من شرفة بيت رضا تشعر وكأنك تسكن في الطوابق العليا لناطقة سحاب عصرية.

[شريط مسجل]

رضا كندواني/أحد السكان الأصليين: المؤرخون يقدرّون عمر أقدم منزل في هذه الجبال بنحو أربعة آلاف عام تقريباً، أما نحن فقد جاء أجدادنا إلى هنا قبل أكثر من ألف

عام هرباً من بطش المغول وغزوهم، لو وقفت في الأسفل ليلاً أو نهاراً ونظرت إلى الأعلى لن يخطر ببالك أن أناسا يعيشون هنا وهذا هو بالضبط ما كان يحتاجه أجدادنا للاختباء من المغول والبقاء على قيد الحياة.

عبد القادر فايز: داخل كل مخروط صخري كهذا يوجد بيت كندواني ذو هندسة راقية كل شيء حُسب بدقة قبل مئات السنين واجهات البيوت تطل شرقاً كي تكون قادرة على الصمود في وجه الرياح الغربية، وسير عملية الحفر يوضح اهتماماً خاصاً بالأسس الصخرية التي يقوم عليها البيت، انقراض الحفارون من البلدة لكن من بقي منهم يقول لك إن كل بيت من كندوان احتاج إلى أربع سنوات من الحفر لصناعة أعجوبة الجبال هذه.

[شريط مسجل]

أبو الفضل همتي/مختار القرية وأحد الحفارين السابقين: لدينا في القرية مئة وثمانون بيتا يسكنها ألف من السكان، كنا نحفر البيوت ونوسعها بطريقة أجدادنا من خلال معاول وفؤوس صغيرة في كل ضربة فأس كنا نقشط نحو مئة غرام من الصخر فقط فتخيل كيف حُفرت هذه البيوت، كان الحفر يتم بطريقة تراعي قوانين الهندسة المعمارية حتى الحديثة منها وهذا يفسر صلابة هذه البيوت الصخرية.

عبد القادر فايز: منذ وقت ليس بالقليل ونحن نصعد هذه الدرجات في الحقيقة شيء مرهق بالنسبة لشخص تعود على المصاعد، الكندوانيون يراقبونك ويبتسمون ويلقبونك على الفور بالغريب إلا أنهم وبكافة الأحوال أهل ضيافة وترحيب، يقول في كلماته كنا سادة الجبال وبتنا نبيع المياه المتلجة للسياح، نجونا من بطش المغول فوقنا فريسة تجار السياحة والمدنية، اليوم تستعد القرية لدخول قائمة اليونسكو للتراث الإنساني يفهم ذلك هنا بأنه مزيد من السياح ويبدو ذلك واضحاً عند مدخل البلدة حيث شيد المستثمرون فندقاً أسموه الصخرة، يشبه الفندق إلى حد بعيد بيوت الكندوانيون لكن من الخارج فقط أما من الداخل فستجد الانترنت والتدفئة والمياه الساخنة وكل وسائل الراحة فالسياح جاءوا إلى هنا لمشاهدة الكندوانيين وليس لتجربة نمط عيشهم؛ هكذا يقولوا لك أي كندواني إذا ما قررت السؤال، في الداخل تسأل عن قرية كندوان يأتيك الجواب سمعت بها ربما أود زيارتها، خارج إيران تبدو الصورة مختلفة فربما لن تجد أحداً قد سمع بهذا المكان، تبدو السلطات الرسمية الإيرانية مقصرة بحق هذا المكان وربما بحق ساكنيه، لبرنامج مراسلو الجزيرة عبد القادر فايز- قرية كندوان أقصى شمال غربي إيران.

[نهاية التقرير]

عباس ناصر: ومن البيوت الصخرية في كندوان الإيرانية إلى الأراضي الفلسطينية

حيث ما يزال سكان خرب التلال الجنوبية لمدينة الخليل يعيشون في كهوف بقلب الجبال لعدم سماح القوات الإسرائيلية لهم بالبناء والعيش بالحرية على أراضيهم، وبحسب منظمات حقوقية إسرائيلية فإن إسرائيل تسعى لتطبيق مخططاتها بتطهير منطقة الجنوب في الخليل من سكانها الأصليين من خلال هدم المنازل ردم الآبار إتلاف المحاصيل الزراعية والإعلان عن أماكن واسعة مناطق عسكرية ممنوعة الدخول، سمير أبو شمالة يرصد واقع المأساة والتشرد الدائمين لسكان خرب تلال الجنوبية لمدينة الخليل.

[شريط مسجل]

سكان الكهوف.. نموذج فلسطيني للمعاناة

مزارع فلسطيني: أنا مزارع فلسطيني في جبال جنوب الخليل نعتمد على الثروة الحيوانية، نسرح مع الغنم في الجبال، يلاقونا مستوطنين فيقوموا بقتل الغنم بالرجم عليها بالحجارة، أنا شخصياً تعرضت لهجوم من المستوطنين، أربع مستوطنين هجموا عليّ وضربوني على أنفي فأغمي عليّ، المستوطنون لما شافوا الناس قدموا إليهم شردوا، نحن باستمرار نرعى في الغنم بجوار هذه الأماكن اللي يحاولوا يصادروها، نحن مش رح نسمح لهم يأخذوا أرضنا لأن هذه ملكنا وهذه أرضنا اللي نعيش منها.

[تقرير مسجل]

سمير أبو شمالة: هذه الأرض هي خربة المفجرة تقع في مسافر يطا في أقصى جنوب مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية هي واحدة من ستين تجمع وخربة تمتد وتنتشر بين الجبال والتلال حيث يعيش فيها أكثر من ١٥٠٠ عائلة محاصرة بأكثر من ستة عشرة مستوطنة إسرائيلية، تربية الماشية هي مصدر رزق سكان هذه القرية، فحياتهم البسيطة بلا مقومات إنسانية، بيوت مرافق حيوية كهرباء وأي شيء آخر هو عرضة للهدم والإزالة حال إنشائه.

[شريط مسجل]

خليل الحمادة/مزارع فلسطيني ومن سكان إحدى الخرب: لليوم ناس إحنا مش حاصلين على أي حق إلنا ولكن إذا إسرائيل هدمت البيوت وهدمت واعتقلت الفتيات أو سممت الآبار أو سممت المراعي، ولكن ما سيطرت على عقولنا هي تسيطر على الأوضاع المادية لكن لا تسيطر العقول ولا تسيطر على الصمود، فكل شيء إسرائيل تعمله فينا اليوم يزيدنا قوة وتمسك في أرضنا.

سمير أبو شمالة: وتعتبر هذه الخربة نموذجاً لأزمة المياه حيث يستغل الاحتلال المياه التي يحرم الفلسطينيين منها لمصلحة المستوطنات المقامة في الخليل ما يضطرهم

لشراء المياه من الصهاريج في مناطق بعيدة ويكلفهم ذلك المال الكثير ويفاقم معاناتهم.

[شريط مسجل]

خليل الحمادة: هذه المشكلة هي أكبر مشكلة معاناة المياه من هدم الآبار ومنعنا حتى من توصيل المياه، عندنا قضاة ماعون يعني ما فيش فيها، يعني كلها ما فيش فيها عشرة كرافانات، عنا افعال تمتد يومياً وتعرف السياسة الإسرائيلية تمتد يوماً بشبه يعني للتعويضات لأنهم أي شيء عندهم لازم يكون له تعويض، ولكن نحن مش يكون عندنا تعويض يكون عنا خسارة، أي تقدم عنا يكون فيه خسارة إذا بنينا خسرايين إذا ما ردنا على الاحتلال خسرايين أي شيء، يا إما اعتقالات يا إما كفالات، نددع كفالات مالية أحياناً التراكتور بروح يجيب مياه فبجبة أنه تراكتور زراعي ماشي بأرض خالية حتى يخالفونك عليه.

سمير أبو شمالة: وفي عصر التكنولوجيا الحديثة يفاجئك ما تراه عينك من أماكن سكن في هذه المنطقة إنها كهوف ومغارات شكلتها الطبيعة في بطون الجبال يعيش فيها الفلسطينيون بعد أن شردهم الاحتلال جراء هدم منازلهم قبل عشرات السنين، فالأوضاع من الداخل لا تتناسب مع أساسيات الحياة الكريمة.

[شريط مسجل]

مواطنة فلسطينية: هذه لنا وإلنا فيها والحمد لله عايشين بس لما يمرقوا بخاف على الأولاد، اليهود يخافوا الأوامر.

سمير أبو شمالة: كيف؟

المواطنة: يتهجموا على الأطفال يتهجموا على الأوامر أنا تهجموا علي وقت الربيع بقوا بدهم يقتلونني.

سمير أبو شمالة: الاحتلال يعمل على سلب مئات آلاف الدونمات في المنطقة من أجل إيجاد تواصل جغرافي حتى الخط الأخضر، ومن أجل التضامن مع سكان المنطقة أقام ناشطون أجنب بالتعاون مع اللجان الشعبية لمقاومة الاستيطان مهرجان اختتام مخيم الصمود الخامس على أرض الخربة أمام الجيش الإسرائيلي الذي يتربص بأي تحركات في المكان.

[شريط مسجل]

أليساندرا/ناشطة سلام إيطالية: المستوطنون يعيشون هنا وهم حقاً عدوانيون عادة ما يتسببون بالمشاكل وعندما لا يكون هناك هجوم مباشر يتصلون بالجيش ويطلبون منه إخراج السكان من المنطقة، هم يحتلون هذه الأرض بشكل سافر ونحن نتواجه معهم في

كثير من المرات لأنه عندما نخرج مع الفلسطينيين هم يأتون ويبدءون برشق الحجارة على السكان ومهمتنا توثيق ورفع الشكاوى لما يحصل هنا في هذه المنطقة.

سمير أبو شمالة: هذه التحركات الشعبية تزيد السكان- كما يقولون- قوة وثبات أمام السياسة الإسرائيلية التي تحاول الاستيلاء على أراضيهم لربط المستوطنات ببعضها وتهجير سكانها.

[شريط مسجل]

محمود الحمامدة/مسؤول لجنة المفكرة في جنوبي الخليل: ما ترون من مستوطنات حولنا في هذه المنطقة هي مستوطنات لا يوجد على وجودها أكثر من عشر سنوات أو خمسة عشرة سنة بينما السكان في هذه المنطقة سكنوا الكهوف ولا زالوا يسكنون الكهوف قبل أن يوجد شيء اسمه بيوت وبالتالي هم موجودون قبل أن يوجد شيء اسمه إسرائيل على الخريطة وبالتالي رسالتنا لهم بأننا سنبقى على هذه الأرض وبأننا سنبقى نقاوم على هذه الأرض لأن هذه الأرض هي نحن ونحن وهي، وبالتالي لن نتركها لهؤلاء الغرباء الذين جاءوا من بقاع الأرض ليسكنوا على أرضنا.

سمير أبو شمالة: بمعزل عن الصمت العربي والدولي إزاء ممارسات الاحتلال يبقى الفلسطيني متمسكاً بأرضه ومدافعاً عنها مهما كلف ذلك من ثمن أمام مساعي الاحتلال لتطهير هذه القرى من سكانه الأصليين تنفيذاً لمخططات التوسع الاستيطاني، سмир أبو شمالة لبرنامج مراسلو الجزيرة من مسافر يطا جنوب الخليل- فلسطين.

[نهاية التقرير]

عباس ناصر: مشاهدنا الكرام نتابع معكم هذه الحلقة من برنامج مراسلو الجزيرة وفيها بعد قليل، الجغوب.. معقل الحركة السنوسية بين الماضي والحاضر.

[فاصل إعلاني]

الجغوب الليبية بين الحاضر والماضي

عباس ناصر: أهلاً بكم من جديد، تعتبر الجغوب معقل الحركة السنوسية في الصحراء الليبية وبها زاويتها الرئيسية التي كانت مركز إشعاع ديني ودعوي ومنطلقاً للمقاومة ضد المستعمر الإيطالي، عمل نظام معمر القذافي على طمس معالم زاويتها ودورها التاريخي كما نقل رفات قيادات الحركة من الجغوب إلى مكان مجهول كي لا تصير معلماً مميزاً في التاريخ الليبي، محمود عبد الواحد يحدثنا عن تاريخ هذه الواحة في المقاومة وعن دورها الديني.

[تقرير مسجل]

محمود عبد الواحد: الجغبوب واحة في قلب الصحراء الليبية، يسكنها حوالي أربعة آلاف نسمة، ينتمون إلى نحو أربعين قبيلة من مختلف المناطق الليبية، لا تتمتع بكثير من مظاهر الترف لكنها تعتمد في الأساس على مياها الجوفية وما تنبت أرضها من خضراوات وثمار، اختارها الإمام محمد بن علي السنوسي أبرز أئمة السنوسية في ليبيا مقراً ومنطلقاً لدعوته عام ١٨٥١ لبعدها الجغرافي عن السلطات العثمانية والاحتلال الفرنسي آنذاك، أقام الإمام محمد بن علي السنوسي قرابة سنتين ونصف السنة في الجغبوب، وبعد وفاته تولى ابنه المهدي الإمامة أربعين سنة فازدهرت الواحة وتوسعت وبُنيت فيها مساكن ومدارس ومعاصر ومصانع ومراكز رصد الكواكب، كما شيدت فيها صوامع وطواحين هواء تعمل بمراوح شرعية، أما قلعتها فاتخذتها إيطالية ثكنة عسكرية لجنودها إبان الاحتلال كما اتخذت طاحونتها الشمالية برجاً للمراقبة، أما تلالها التي تسمى القارة باللهجة المحلية فاتخذت علامات للزائرين والمسافرين وعابري السبيل، وكانت زاوية الجغبوب منارة للعلم حيث كان المریدون يأتونها من كل حذب وصوب.

[شريط مسجل]

أحمد السنوسي/من أتباع الحركة السنوسية: التابع للحركة السنوسية يجب أن يكون ملماً من عمل البيت اللي هو عملية الطبخ والغسل وما إلى ذلك إلى حمل السلاح مروراً بالحرف وصناعات من تعليم، من الضروري التابع للحركة السنوسية أن يكون ملماً بحرف المهن نجار مزارع بناء متعلم يعلم القرآن متعلم يعلم الدين لا يكون عالية على غيره.

محمود عبد الواحد: اضطلعت زاوية الجغبوب بدور كبير في انتشار الإسلام في بلدان أفريقية وفي تعليم أصول الدين والفقه والعلوم الأخرى وفي إدارة شؤون الناس وتوزيع الثروات، وكانت قوافل الطلبة أو البعث كما كانت تسمى تأتيها من بلدان شتى، كما قامت الجغبوب بدور في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي والبريطاني والإيطالي فعندما غزت إيطاليا الأراضي الليبية عام ١٩١١ سارع السيد أحمد الشريف نائب السلطان العثماني في شمال إفريقيا آنذاك إلى العودة مع قواته التي كانت تحارب في تشاد وأعلن الجهاد ضد إيطاليا كما تعلم فيها المجاهد عمر المختار ونصب قائداً منها، فأصبحت الجغبوب مقر القيادة المركزية لمعسكرات الجهاد التي أقيمت في شتى الزوايا الأخرى على امتداد الساحل الليبي، لكنها صارت أثراً بعد حين بسبب سياسية نظام القذافي الذي أرسل لجانه الثورية عام ١٩٨٤ لطمس تاريخ الزاوية السنوسية.

[شريط مسجل]

إدريس التواني/باحث في الآثار: كمشاهد هذا كان في المنتصف ضريح الإمام محمد بن علي السنوسي وبجواره المجلس اللي هو مجلس سيدي المهدي، ويقال أن أول

مجيء السيد محمد بن علي السنوسي سكن في البداية في الكهف اللي حالياً مسمى قارة سيدي راجح، وعندنا في الزاوية هذه الجنوبية الشرقية هذا كان بيت شيخ الزاوية بالإضافة إلى زي ما قلت لك المكتبة التاريخية اللي كان فيها ثمانية آلاف مخطوط ما بين كتب ورسائل مخطوطة من أشهرها مخطوطة الصحيح البخاري النسخة الثانية بعد الأصل.

خليفة الشيعي/شاهد عيان وكتب من أبناء الجيوب: نحن الآن في أكبر مقر وأكبر مركز إسلامي ألا وهو زاوية الإمام محمد بن علي السنوسي التي تشاهدونها الآن أصبحت أكوام من الحجارة والتراب وذلك بعد قرار النظام السابق بقيادة القذافي بهدمها، تم نبش القبور ليلاً دخلوا بعد ذلك هذا موجود في الصحن دخلوا القبة حيث يوجد ضريح كل من الإمام السنوسي وابنه الشريف، الإمام السيد محمد علي السنوسي وابنه الشريف فتم نبشهم وإخراج قبورهم ووضعوا في بعض الصناديق ورميت قريباً من منطقة أجدابيا.

محمود عبد الواحد: أزيلت معالم الزاوية السنوسية لكن روح الطريقة لا تزال حاضرة في قلوب أتباعها، يسيرون على منهاج معلمهم، فهم يحرصون على تعليم القرآن الكريم لأبنائهم ويعكفون على قراءته وترتيل الأدعية والأوراد التي نشئوا عليها.

السنوسي الإدريسي/أمين السجل المدني بالجيوب: الأوراد هذه مأخوذات من السنة يعني ما فيش حاجة ما فيش وارد من الأوراد إلا وفيه دليل من الكتاب والسنة، وتتميز الطريقة السنوسية بأنها ما هي يعني ما فيها إلا الحزب أو الورد اللطيف هذه جماعية أما الباقي كلها فردية يعني ما إلها ما فيها وطبعاً الجماعية هي دليل من الكتاب والسنة.

محمود عبد الواحد: في قلب صحراء تبللت رمالها بعرق الأولياء كانت الجيوب ولا تزال تحرص على إزالة الشحاء من نفوس القبائل المتخاصمة ودعوته إلى التآخي والتصالح في نزاعات كانت المحاكم القضائية تعجز عن فضها، في هذه المجالس يتذكر الحاضرون مقولة محمد بن علي السنوسي لأتباعه: "والله إنني وددتكم بها وستجدونها في آخر الزمان أحسن محل وستكون هي الملجأ والمنجى"، تغيرت الجيوب ظاهرياً بمرور الزمن وأصبحت تسمى الواحة المنسية في الصحراء الليبية ولكنها لا تزال تجسد عالماً مصغراً من الوحدة والتآخي بين أبنائها وحينما قرر الإمام المهدي الانتقال من الجيوب إلى الكفرة لنشر الدعوة منها إلى مناطق أفريقيا الأخرى أثر ذلك في نفوس كثيرين لكنهم تركوا خلفهم رفات الأئمة المؤسسين وجنة في قلب الصحراء، في هذه الواحة الوادعة أرسى أئمة السنوسية أصول الحياة السعيدة القائمة على الزهد والعبادة والتعلم فأصبحت مدرسة تخرّج منها المجاهدون ضد الاحتلال والمجتهدون في العلوم الشرعية حيث كان رباط الدين والأخلاق والعلم هو المعيار الحقيقي لقيمة الإنسان، محمود عبد الواحد- برنامج مراسلو الجزيرة من واحة الجيوب في شرق الصحراء الليبية.

[نهاية التقرير]

عباس ناصر: وبهذا التقرير لمحمود عبد الواحد عن الجغوب ماضيها وحاضرها نأتي مشاهدينا الكرام إلى ختام هذه الحلقة من برنامج "مراسلو الجزيرة"، موعداً الأسبوع القادم مع حلقة جديدة دتمم بخير وإلى اللقاء.